العرب
السبت 2020/05/09
السنة 42 العدد 11697

البطولة الثنائية تعيد للكوميديا المصرية هيبتها المفقودة

علي ربيع: «عمر ورياب» يناقش مشكلات الشباب العاطل من منظور ساخر

يراهن الكوميدي المصري علي ربيع في انطلاقته الجديدة على البطولة الجماعية لنجاح مسلسله الكوميدي «عمر ورياب»، بعد أن استعان بزميله في «مسرح مصر» مصطفى خاطر، وذلك من أجل تقديم جرعة مرحة يمكن أن تجذب الجمهور في ظل انتقادات طالت الأعمال الكوميدية السنوات الماضية، والتي خسرت جزءا كبيرا من جمهورها لاعتمادها على كوميديا الموقف وإطلاق النكت من دون وجود سياق منطقي يساعد على تسلسل الأحداث.

ثنائي «مسرح مصر» شراكة الخشبة انتقلت إلى التلفزيون

إنجي سمير
كاتبة مصرية

القاهرة – يعتمد المسلسل الكوميدي المصري "عمر ورياب" المعروض حاليا على قناة "أم.بي.سي – مصر"، على تقديم أكثر من قصة في إطار كوميدي، ويقدّم فيه علي ربيع ومصطفى خاطر شخصيتين، وهما عمر وصديقه رياب، ويبحثان عن عمل طوال الوقت، لتحسين أوضاعهما المعيشية من أجل تحقيق حلمهما بالزواج.

مسلسل «سك على أخواتك» لم يحقّق النجاح المنتظر لنجم «مسرح مصر» الذي تربّع على عرش كوميديا الفرقة

لكن في كل عمل يقرّران خوضه يتعرّضان فيه لمشكلة ولا يكتمل، ليضطرا إلى الاقتراض ويكتبا على نفسيهما وصولات أمانة مالية، أشبه بالشيكات البنكية.

وظائف مختلفة

قال الفنان المصري علي ربيع في حواره مع "العرب"، إن التعاون بين نجمي كوميديا لتقديم عمل واحد أفضل من الاعتماد على شخص واحد، وذلك يساعد على إخراج جملة من الأفكار المتميزة، وقد فرض السيناريو ضرورة قيام شخصين ببطولة العمل.

وأضاف ربيع، أن المسلسل يرصد معاناة الشباب لأن هناك العديد منهم لا يجدون عملا ثابتا ويتنقلون بين أكثر من وظيفة، وهو يقوم على تنوع المهن التي يؤديها مع خاطر، وأن البطلين ينتقلان في كل حلقتين أو ثلاث من عمل إلى آخر.

وأوضح أن العمل يحمل رسالة واضحة من خلال تقديم قصة شابين مكافحين، والمراد من ذلك هو ألا نفقد الأمل، إذ يظل الإنسان يحاول ولا يمل من البحث عن هدفه، ويتعب من أجل الوصول إلى ما يطمح إليه، فليس المهم الوظيفة التي يقدّمها الشخص، لكن الرهان يكون على الاجتهاد طوال الوقت إلى غاية تحقيق الهدف.

وأوضح أن الكوميديا في المسلسل ناتجة من طبيعة المواقف والوظائف المختلفة التي يعمل بها بطلا العمل، ويجري توظيف الشابين خلال الأحداث في أكثر من 15 وظيفة مختلفة، كل منها تقدّم رسالة إلى الشباب الذين يواجهون مشكلات في أعمالهم.

حاول ربيع الاستفادة من شهرة المطرب عمرو دياب في تحقيق تسويق يضمن وصول المسلسل إلى الجمهور، بل إن الخط الذي كتب به اسم المسلسل في التتر جاء مشابها للطريقة التي يوقّع بها الفنان المصري عمرو دياب ألبوماته، ما أحدث لغطا، ولم تصل الرسالة مثلما أراد صناع العمل، فجرى تغيير اسمه الأصلي "وصل أمانة" قبل أيام قليلة من شهر رمضان، ليصبح "عمر ورياب".

وأشار ربيع، إلى أنه يتلقى العديد من السيناريوهات القابلة لتكون أعمالا كوميدية، واختيار أحدها يتطلب مجهودا مضاعفا، في محاولة لمجاراة أذواق الجمهور الذي انجذب مؤخرا إلى الأعمال القائمة على الحلقات المنفصلة المتصلة، وكوميديا الموقف من دون ابتذال أو استخفاف بعقل المشاهد.

ولجأ صناع الدراما في الفترة الأخيرة إلى الحلقات المنفصلة المتصلة لكسر الملل بين الجمهور حال مشاهدة 30 حلقة على وتيرة واحدة، في ظل المشكلات التي تعاني منها المسلسلات الكوميدية على مستوى التأليف. غير أن هذا النوع من المسلسلات أضحى لا يحظى بجماهيرية واسعة نتيجة أنها تأتي غالبا مبتذلة، وتبدو أحداثها غير منطقية، كما أن كتابة هذه المسلسلات وتجسيد الشخصيات من قبل الفنانين لا تتّسق أحيانا مع الواقع.

ويتّفق العديد من النقاد على أن مسلسلات الكوميديا في طريقها إلى الانحسار لصالح أعمال تركّز على قضايا مجتمعية وسياسية تهيمن على اهتمامات الجمهور، ولم تقدّم جديدا يذكر، وهو ما يعدّ أحد الأسباب التي دفعت بعضا من منتجي هذه الأعمال إلى المزج بين الأبطال الذين قدّموا مسلسلات منفردة في أعوام ماضية.

ويقوم الفنانان حمدي المرغني ومحمد أسامة المعروف بـ"أوس أوس"، وهما من نجوم "مسرح مصر"، بتقديم مسلسل "2 في الصندوق"، ويقدّم أكرم حسني وأحمد فهمي مسلسل "رجالة البيت"، إلى جانب مسلسل "اللعبة" بطولة هشام ماجد وشيكو، و"سكر زيادة" بطولة نبيلة عبيد ونادية الجندي، وكلها من الأعمال الكوميدية التي لم يتفاعل معها الجمهور كثيرا.

وقدّم الفنان علي ربيع خلال العامين الماضيين بطولة مطلقة في مسلسلي "سك على أخواتك" و"فكرة بمليون جنيه"، ولم يحقّقا النجاح المنتظر لنجم "مسرح مصر" الذي تربّع على عرش كوميديا المسرح، بما مكّنه ليقوم بدور البطولة التلفزيونية والسينمائية خلال فترة وجيزة.

بطولة ثنائية

غير أن علي ربيع أشار في حواره، إلى أنه لن يتخلى عن البطولة المطلقة ومسلسل "عمر ورياب" يعزّز ذلك، وأن المنطقة التي وصل إليها بفعل الجماهيرية التي حقّقها على المسرح لا يمكن التراجع عنها في التلفزيون، لافتا إلى أن الوضع قد يكون مختلفا في السينما التي قد يشارك فيها عبر بطولة ثنائية أو جماعية.

ويرى الفنان المصري، أن تنوّع الأعمال الكوميدية في موسم رمضان أمر جيد ليس بالنسبة إليه فقط باعتباره أحد نجوم الكوميديا، لكن للمشاهد الذي يبحث عن التنوّع بدلا من الملل الذي يُصيب البعض من وجود عمل واحد، والهدف هو إسعاد الجمهور دون حسابات دقيقة للمنافسة، لأن نجاح أي من الأعمال الكوميدية يصبّ في صالح هذا النوع من الفن.

وتُشارك في بطولة مسلسل "عمر ورياب" مجموعة من النجوم الشباب، منهم محمد محمود ومحسن منصور وكارولين عزمي، والفنانة نهال عنبر، والبعض من ضيوف الشرف، وهو من تأليف فاروق هاشم ومصطفى عمر، وإخراج معتز التوني.

واتجه ربيع في الموسم الحالي نحو التعاون مع المؤلفين، بعد أن اعتاد الاعتماد على ورشات الكتابة، وبالتحديد ورشة أمين جمال الذي تعاون معه خلال العامين الماضيين، مُشيرا إلى أن التغيير هذا العام جاء نتيجة السيناريو الذي فرض نفسه، وليس لديه أزمة في تكرار العمل مع الورشات مرة أخرى.

وتابع قائلا "العالم كله أصبح يتعاون مع ورشات الكتابة، فالأفلام الكبيرة والضخمة تقدّم من خلال ورشة كتابة ويعكف على كتابتها ما لا يقل عن 40 شخصا، فعمل الورشة أفضل من قيام مؤلف واحد بكتابة مسلسل، لأنه يجمع أكثر من فكر ورأي ووجهة نظر، وهناك أعمال إذا كتبها شخص واحد تكون جيدة أيضا. لكن أنا أفضل العمل مع ورشات العمل، لأن المسلسلات المنفصلة المتصلة تحتاج إلى أكثر من شخص يقوم بكتابتها".

وأكد ربيع في حواره لـ"العرب"، أنه يعتمد على التلقائية والارتجال في بعض المشاهد التي يقدّمها، ويفضّل أن تكون للممثل أفكاره الخاصة مع إتاحة مساحة تفاعلية مع الجمهور، ويعقد جلسات مع المؤلفين لتقديم العديد من المشاهد بتلقائية، إلى جانب أن بعض الانفعالات الكوميدية تُخلق من داخل الموقف، وغير موجودة في السيناريو. لكن يتأثر بها في أثناء تجسيد الشخصية.

وأفصح الفنان الكوميدي عن كواليس تصوير المسلسل الذي مرّ بصعوبات عديدة نتيجة وفاة والده، إلى جانب الإجراءات الاحترازية التي فرضها انتشار فايروس كورونا، قائلا "تحاملت على نفسي لاستكمال التصوير، وتغلّبت على أحزاني في فترة وجيزة للانتهاء من العمل، وهو نفس الأمر بالنسبة إلى المخرج معتز التوني حين وفاة والدته، والفنان ياسر الطوبجي خلال وفاة والدته، والفنانة نهال عنبر عند وفاة شقيقتها، فكل هذا الحزن حدث خلال الشهر الماضي".

الدراما التلفزيونية «فن ثامن» يقتل قرينيه الرابع والسابع

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

كأني بالدراما التلفزيونية قد تحوّلت إلى ما يشبه بعض أنواع الحلويات أو المعجنات أو المرطبات التي لا نصادفها إلّا في شهر الصيام. تغيب هذه البضاعة الموسمية طيلة العام، فلا يتذكّرها ولا يشتاقها أحد –بل ويكاد لا يحتاجها ولا يعمل فيها– ثم تهجم مرة واحدة فتحتلّ الشاشات وتشتّت الأذهان، وتصبح شغل من لا شغل له.

هل نكون قد استصغرنا من شأن ممثل أو كاتب أو مخرج أو عامل فني، إن قلنا بأنه مثل جارنا العم فلان.. يمتهن بائع الزلابية في رمضان؟ تبدو هذه المقاربة مشروعة ولا جُناح عليها، وليس فيها أيّ لهجة استهزاء أو تحقير إذا ما علمنا أن الصناعة الدرامية باتت –وبالفعل– مهنة موسمية لها جمهورها الذي سوف ينفضّ عنها فور التماسنا هلال شوال.

من أين يأتي التحقير والاستهزاء ودراميو التلفزيون الرمضاني، يحظون بالمال والشهرة والتبجيل في الدوائر الرسمية ومؤسّسات الدولة، وحتى لدى شرطة المرور؟ وفوق ذلك كله، يتابعهم جمع غفير من النقاد المرتخين أمام شاشات المواقع الاجتماعية وفي مكاتب الجرائد اليومية والبلاتوهات التلفزيونية.

السؤال الذي يُطرح هنا، وبعيدا عن المفاضلات والتقييمات بين هذا العمل وذاك، هو كيف نجعل هذا الإنتاج الدرامي مستداما، ونخرجه من الموسمية المقيتة ليتكرّس كصناعة ثابتة متينة ومستمرة، فليس بالضرورة أن يحتكر شهر الصيام بعض الأطعمة وفق مقولة "زوروني في السنة مرة".

وبما أننا بدأنا هذه المقاربة بالأطعمة الموسمية مقابل الإنتاجات الدرامية، فهل أن من يصنع كعكا طيبا ولذيذا في رمضان، لا يستطيع أن يأتي بمثله في شوال؟ وهل أن من استطاب هذا الكعك في موسم الصيام، سوف يعرض عنه في باقي شهور الإفطار؟ إن من يدّعي أنه يقدّم فنا "مباركا" في هذا الشهر فهو قادر على الإتيان بمثله في بقية العام.

إن كانت الذريعة في غياب الإمكانيات وورشات الإنتاج على مدار العام فهذا غير صحيح، بدليل أن لدينا جيوشا من العاطلين عن العمل في الأعمال الدرامية، ولا تحظى بعمل إلّا فئة قليلة منهم. أما عن الأموال فهي لا تنضب، وتريد الاستثمار وأن تضخّ في هذه القنوات التلفزيونية المتناسلة بمسلسلات لها من يتابعها من كل الفئات العمرية، مقابل الإنقاص من برامج "التوك شو" التي تسعى غالبيتها إلى الإثارة الرخيصة وقد علّل منتجوها ذلك بالتكاليف الأقل، مقارنة بالأعمال الدرامية. الأمر الآخر الذي يعزّز مكانة الدراما التلفزيونية ويقوّي من حظوظها في افتكاك مستقبل واعد، هو كونها قد ارتقت –حقيقة– بخطابها الغني والإبداعي في السنوات الأخيرة رغم بعض الهنات والسقطات التي لا بد منها، تمليها سياسات وصائية أكثر منها رقابية أي محاولات تعبئتها وتسخيرها ضمن نوع من البروبغندا الدعائية لهذا النظام أو ذاك وسط التناقضات العربية.

سبب هذا التفاؤل المبشّر بتقدّم كبير، يعود إلى رفد هذه الدراما بطاقات شابة، طموحة ومطلعة على أحدث المدارس في فنون التمثيل والإخراج والتصوير، بالإضافة إلى الحالة التنافسية التي أتاحتها تعدّدية القنوات التلفزيونية في سوق فضائية لم تعد تخضع للاحتكار، بالإضافة إلى ظهور تقنيات البث عبر الإنترنت، وما تمثله من ثورة إنتاجية شملت العالم العربي.

لقد آن الأوان لترك ونسيان هذا الاستعلاء الثقافي غير المبرّر إزاء الدراما التلفزيونية من قبل نخب ثقافية ما زالت تزدري الإنتاج الدرامي على الشاشة الصغيرة وعلى خشبات المسرح، بذريعة أن جهاز التلفزيون ومشتقاته الحديثة من أدوات بث إلكتروني، لا يرتقيان إلى سحر وألق الفن الرابع والفن السابع.

فن أعلن نهاية الاستعلاء الثقافي

الحقيقة أن هؤلاء ما زالوا يعيشون في جلباب مثقفي الثمانينات والتسعينات، من أولئك الذين لم يتفاعلوا مع رياح الثورة الرقمية، وتمترسوا خلف النوستالجيا المدافعة عن حضارة الكتب الورقية والأفلام السينمائية التي تدور بكراتها في القاعات المظلمة.

"إذا تكلم الاقتصاد فاصغوا إليه، فإن صدق القول ما قاله الاقتصاد" مقولة تنطبق على كل الأشياء بما فيها حقل الفن والإبداع، لذلك فإن مسألة المناداة بإنتاج درامي تحتضنه الدولة وترعاه عبر الأموال العامة وذريعة الحفاظ على المستوى الراقي وتهذيب الذوق العام، تشبه من يحرث بثور وسكة حديدية، منتظرا إنتاجا وفيرا ونوعيا.

مناقشة السوية الفنية للدراما التلفزيونية موضوع ثانوي ولاحق، وذلك استنادا إلى مبدأ الكم يفرز الكيف، والوفرة تعلّم الإتقان ثم إن الزمن كفيل بالغربلة وتبيان الصالح من الطالح.

هذا منطق السوق، بكل ما فيه من نفائس ونقائص كالقيم الربحية والأحكام التنافسية، والاحتكارات والمضاربات وقوانين العرض والطلب وما ينتج عنها من تعويم أو كساد، وانخفاض وارتفاع في الأسهم والبضائع. هذا المنطق ينطبق تماما، على النشاط الدرامي دون زيادة أو نقصان بل لعلها الصناعة الرابحة المنظمة والناجحة الوحيدة في العالم العربي، ويمكن من خلالها أن نتحدّث عن طموحات واعدة تتعلّق بالتكامل والتنافس ومناطق التبادل الحر والسعي إلى دخول واكتساح أسواق جديدة بجودة عالية مع نسبة أرباح تزيد عن أسعار التكلفة.

إن من يدّعي أنه يقدّم فنا «مباركا» في شهر رمضان هو قادر على الإتيان بمثله في بقية العام

هذا الحديث المتعمّد عن الدراما التلفزيونية بلغة اقتصادية صرفة، لا يستهتر بالقيم الجمالية والفنية والفكرية للدراما التلفزيونية، إنما يعلي من شأنها، ويُراهن عليها في تحريك سوق العمالة وتحريك الدورة الاقتصادية في حالة عدم استسلامها للمزاجيات الموسمية والإنتاجات العشوائية والاختيارات غير المدروسة للمواضيع المطروقة في هذه الدراما التلفزيونية التي تمثل في حد ذاتها "دراما حياتية" توازي المنتج الإبداعي، تناظره وتتفوّق عليه أحيانا.